تيسير الخلاق

في علم الأخلاق

تأليف

حافظ حسن المسعودي
من علماء الأزهر الشريف

الدار السودانية للكتب
الخرطوم

تيسير الخلاق

في علم الأخلاق

تأليف
حافظ حسن المسعودي
من علماء الأزهر الشريف

الدار السودانية للكتب
الخرطوم

يا طالب الأخلاق هاك مُؤَلَّفًا بُنِيت مقاصدُه على التحرير
واعلم بأن المرءَ ليس بمُدْرِكٍ من أمره شيئًا بلا تيسير

* * *

حقوق الطبع محفوظة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الـدار السـودانيـة للكتـب
Al Dar Al Soudania for Books

طبـاعـة
ونشـر
وتـوزيـع

Printing,
Publishing
& Distribution

السودان ـ الخرطوم ـ ش البلدية ، ص . ب : ٢٤٧٣ ، ت: ٨٠٠٣١ / ٧٠٣٥٨، برقياً: توزيعدار
Sudan - Khartoum - Baladeya St . , P .O . Box : 2473,Tel : 80031 / 70358, Telg : " TOUZIDAR"

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

علم الأخلاق : عبارة عن قواعد يعرف بها صلاح القلب وسائر الحواس [1] .

وموضوعه : الأخلاق من حيث التحلي بمحاسنها ، والتخلي عن قبائحها .

وثمرته : صلاح القلب ، وسائر الحواس في الدنيا ، والفوز بأعلى المراتب في الآخرة .

* * *

التقوى

هي امتثال أوامر الله عزَّ وجلَّ ، واجتناب نواهيه سرًّا وعلانية ، فلا تتم إلا بالتخلي عن كلِّ رذيلة ، والتحلي بكلِّ فضيلة ، فهي الطريق الذي من سلكه اهتدى ، والعروة الوثقى التي من استمسك بها نجا . وأسبابها كثيرة : منها :

---

(١) الحواس : المشاعر الخمس وهى : السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس .

أن يلاحظ الإنسان أنه عبد ذليل ، وأن ربه قوي عزيز ، ولا ينبغي للذليل أن يَعْصِيَ العزيز لأن ناصيته (١) بيده .

ومنها : أن يتذكر إحسان الله إليه في جميع الأحوال ، ومن كان كذلك لا ينبغي أن تجحد نعمته (٢) .

ومنها : أن يتذكر الموت لأن من علم أنه سيموت ، وأنه ليس أمامه إلا الجنةُ أو النار بعثه ذلك إلى الأعمال الصالحة حسب الاستطاعة ، ومن الأعمال الصالحة مساعدة المسلمين ، والنظر إليهم بعين العطف والرحمة ، خصوصًا إذا سبق منهم إحسان إليه .

وأما ثمرتها ، فسعادة الدارين :

أما في الدنيا : فارتفاع القدر ، وجمال الصيت والذكر ، واكتساب المودة من الناس ، لأن صاحب التقوى يعظمه الأصاغر ، ويهابه الأكابر ، ويراه كلُّ عاقل أنه الأولى بالبر والإحسان .

وأما في الآخرة : فالنجاة من النار ، والفوز بدخول الجنة .

---

(١) الناصية . في الأصل مقدم الرأس ، أو شعر المقدم . أطلق وأريد هنا الشخص بتمامه .

(٢) تجحد نعمته : تنكر مع العلم بها .

وكفى المتقين شرفًا أن الله تعالى يقول فيهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٨] .

* * *

آدابِ المعلم

المعلم دليل التلميذ إلى ما يكون به كماله من العلوم والمعارف .

فيشترط أن يكون من ذوي الأوصاف المحمودة ؛ لأن روح التلميذ ضعيفة بالنسبة إلى روحه ، فإذا اتصف المعلم بأوصاف الكمال كان التلميذ الموفق كذلك .

فإذن لابد أن يكون تقيًّا متواضعًا ليِّن الجانب لتميل القلوب إليه فتستفيد منه ، وأن يكون حليمًا وقورًا ليقتدى به ، وأن يكون ذا رحمة للتلاميذ ، شفيقًا عليهم ، لتعظم رغبتهم فيما يلقيه إليهم ، وأن ينصحهم ، ويرديهم فيحسن تأديبهم ، وألا يكلفهم من المعاني ما تقصر عنه إدراكاتهم .

* * *

آداب المتعلم

للمتعلم آداب في نفسه ، وآداب مع أستاذه ، وآداب مع إخوانه

أما آدابه في نفسه فكثيرة : منها : ترك العُجب [١] ، ومنها : التواضع والصدق ليكون محبوبًا موثوقًا به ، ومنها : أن يكون وقورًا في مشيته غاضًا طرفه عن النظر إلى المحرمات ، وأن يكون أمينًا على ما أوتيه من العلم ، فلا يجيب بغير ما يعرف .

وأما آدابه مع أستاذه فمنها : أن يعتقد أن فضله أكبر من فضل والديه عليه لأنه يربي روحه . ومنها : الخضوع أمامه ، والجلوس في درسه بالأدب ، وحس الإصغاء إلى ما يقوله ، ومنها : ترك المزاح ، وألا يمدح غيره من العلماء بحضرته مخافة أن يفهم أستاذه أنه يذمه ، ومنها : ألا يصده الحياء عن السؤال عما لا يعرف .

وأما آدابه مع إخوانه ، فمنها : احترامهم ، وترك احتقار واحد منهم ، وترك الاستعلاء عليهم ، ومنها : ألا يَسْخَرَ [٢] ببطئ الفهم منهم ، وألا يفرح إذا وبخ الأستاذ بعض القاصرين ، فإن ذلك من أسباب البغض والعداوة .

* * *

(١) العجب : هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

(٢) يسخر : يستهزئ .

حقوق الوالدين

الوالدان : هما السبب في وجود الإنسان لولا عَناؤهما ما استراح ، ولولا شقاؤهما ما تنعم .

أما أمه فحملته كرهًا ، ووضعته كرهًا .

وأما أبوه : فقد بذل وسعه فيما يعود إليه بالنفع من تربية جسمه وروحه .

فيجب عليه : أن يذكر نعمتهما ليشكرهما عليها ، أن يمتثل أمرهما إلا إذا كان بمعصية ، وأن يجلس معهما خاشعًا غاضًا طرفه عن زلتهما ، وألا يؤذيهما ولو بقول أفّ ، وألا يطيل جدالهما ، وألا يمشي أمامهما إلا في خدمتهما ، وأن يدعو لهما بالرحمة والمغفرة ، وأن يأمرهما بالمعروف ، وينهاهما عن المنكر ، ليكون سببًا في نجاتهما من النار كما كانا سببًا في وجوده . قال الله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ (١) رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا (٢) وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٣ ، ٢٤] .

---

(١) قضى : أمر .

(٢) تنهرهما : تزجرهما .

هذا وليخص الأم بزيادة البر لقول النبي ﷺ : « بِرُّ الْوَالِدَةِ عَلَى الْوَالِدِ ضِعْفَانِ » .

* * *

حقوق القرابة

أقارب الإنسان : هم ذووا رحمه ، وقد أمر الله بوصل الرحم ، ونهى عن قطعها . قال النبي ﷺ : يقول الله تعالى : « أَنَا الرَّحمنُ وَهذِهِ الرّحِمُ اشْتَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِن اسْمِي فَمنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعهَا بَتَتُّهُ » (١) .

فلهذا ينبغي للإنسان مراعاة حقوقهم ، والقيام بها فلا يؤذي أحدًا منهم بفعل ولا قول ، وأن يتواضع لهم ، وأن يتحمل أذاهم ، ولو تطاولوا عليه ، وأن يسأل عمن يغيب منهم ، وأن يساعدهم في الحصول على مآربهم إذا قدر ، وأن يمنع عنهم الضرر متى أمكن ، وإن كانوا غير محتاجين إلى شيء من ذلك فعليه أن يتعهدهم بالزيارة .

* * *

حقوق الجيران

الجار : من جاورت داره دارك إلى أربعين دارًا من كل جانب .

وله عليك حقوق : منها : أن تبدأه بالسلام ، وأن تصنع معه المعروف ، وأن تكافئه على معروفه إذا بدأك به ، وأن تؤدي ما له عليك من الحقوق المالية ، وأن تعوده إذا مرض ، وتهنئه إذا فرح ، وتعزيه إذا أصيب ، وألا تتعمد النظر إلى نسائه ولو كنَّ خدمًا له ، وأن تستر عوراته ، وأن تردّ عنه المكروه بقدر ما تستطيع ، وأن تقابله بالبشاشة والاحترام .

قال النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكرِمْ جارَهُ » .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « مَا زَالَ جِبْريلُ يُوصِيني بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه » .

* * *

آداب المعاشرة

آدابها كثيرة ، منها : طلاقة الوجه ، ولين الجانب ، والإصغاء إلى حديث العشير ، والوقار بلا كبر ، والسكوت عند الهزل ، والصفح عن الزلل ، والمواساة ، وترك الافتخار بالجاه ، والغنى ، فإن ذلك موجب للسقوط من أعين الناس .

ومنها : كتمان السرِّ لأنه لا قيمة لمن لا يكتم الأسرار .
قال الشاعر :

إذَا مَا المَرءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلاثًا فبِعْهُ وَلَوْ بكَفٍّ مَنْ رَمَادِ
وَفاءً لِلصَدِيقِ وَبَذْلَ مَالٍ وَكتْمانَ السَّرائرِ في الْفُؤادِ

* * *

الألفة

هي الاستئناس بالناس والفرح بلقائهم ، وأسبابها خمسة :
أولها الدين : لأن كمال الإيمان يوجب العطف (١) .
وثانيهما النسب : لأن الإنسان يحنو على أقاربه ، ويتودد إليهم ، ويكف الأذى عنهم ، كما قال النبي ﷺ : « إنَّ الرَّحِمَ إذَا تَماسَّتْ تَعَاطَفَتْ » .
وثالثها المصاهرة (٢) : لأن الإنسان إذا أحب عرسه (٣) أحب كلّ من ينتمي إليها .
قال خالد بن يزيد بن معاوية : كان أبغض خلق الله إلي آل الزبير حتى تزوجت منهم فصاروا أحبّ خلق الله إليّ .

---

(١) العطف : الإشفاق .
(٢) المصاهرة : هي أن يتزوج الإنسان من قوم أو يزوجهم .
(٣) العرس بالكسر : امرأة الرجل .

ورابعها البرّ : وهو الإحسان إلى الناس .

قال الشاعر :

أَحْسِنْ إلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ . فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإنْسَانَ إحْسَانُ

وخامسها الإخاء : كما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار لتقوى رابطتهم ، وتزيد ألفتهم . وأما فضل الألفة : فالإفادة والاستفادة ، والتعاون على البرِّ والتقوى ، وبذلك تستقيم الأحوال وتعتدل الأمور .

قال الله تعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٣] (١) .

* * *

الإخاء

هو رابطة بين الشخصين تحقق بينهما المودة .

فيطلب من كل منهما للآخر المواساة بالمال ، والإعانة بالنفس ، والعفو عن الزلات ، والإخلاص ، والوفاء ، والتخفيفَ

---

(١) اعتصموا : تمسكوا . بحبل الله : أي دينه . ولا تفرقوا : أي بعد الإسلام .

عليه ، وترك التكلف له ، والسكوت عما يؤذي ، والتكلم بما يرضاه الشرع ، ويقبله الدين ، فيأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ، ويدعو له بحسن الحال ، ودوام الاستقامة .

وأما فضل الإخاء فكبير : لأنه يبعث على التخلق بمحاسن الأخلاق ، ويؤلف بين القلوب ، وبه يكون إصلاح ذات البين الذي جعله الله من ثمرات التقوى ، فقال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [سورة الأنفال آية : ١] (١) .

* * *

آداب المجالس

على من يأتي المجالس أن يبدأ الحاضرين بالسلام ، وأن يجلس حيث انتهى به المجلس ، وأن يعرض عن أقوال العامة الخالية عن الفائدة ، وأن يغير المنكر بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وليقم من المجلس إن لم تدع إلى المقام به ضرورة ، وألا يحتقر أحدًا من جلسائه ، ربما كان خيرًا منه عند الله ، وألا يعظم أحدًا لماله ، لأن ذلك يضعف الدين ،

(١) أي راعوا الأحوال التي تجمعكم من القرابة والوصلة والمودة .

ويسقط المروءة ، وإن كان في الطريق فليغضَّ طرفه ، وليغث [١] الملهوف [٢] ، وليعن الضعيف ، وليرشد الضال ، وليردّ السلام على من بدأه به ، وليعط السائل ، وليك في جلسته وقورًا ، فإن ذلك أدعى إلى تعظيمه ، والاعتناء بشأنه .

* * *

آداب الأكل

أما الآداب التي قبله : فهي غسل اليدين ، ووضع الطعام على سُفرة بالأرض ، والجلوس ونيةُ التقوى على العبادة ، وتَركُ الأكل مع الشبع ، والرضا بالحاضر من الطعام ، وتركُ ذمه ، وطلب من يأكل معه .

وأما التي معه : فهي البدء بالتسمية جهرًا ليُذَكِّر غيره ، والأكل باليمنى ، وتصغير اللقمة ، وإجادة مضغها ، وترك مدّ يده إلى غيرها قبل الفراغ منها ، والأكل مما يليه إلا في الفاكهة ، وألا ينفخ في الطعام ، وألا يقطعه بالسكين ، وألا يمسح يده ، وألا يجمع بين التمر والنوى في إناء ، وألا يشرب الماء إلا عند الاحتياج إليه .

وأما التي بعده : فهي القيام قبل الشبع ، وغسل اليدين بعد لعقهما .

---

(١) وليغث : وليعن . (٢) الملهوف : المظلوم .

والتقطات الفتات ، وحمد الله تعالى .

* * *

آداب الشرب

آدابه كثيرة : منها تناول الإناء باليمين ، والنظر فيه قبل الشرب ، والتسمية ، والجلوس ، ومصّ الماء ، لأن عبه يضرّ الكبد .

قال النبي ﷺ : « مُصُّوا المَاءَ مَصًّا وَلاَ تَعُبُّوهُ عَبًّا » .

ومنها : الشرب في ثلاثة أنفاس ، يسمي في كلِّ واحد ويحمد في آخره ، ولا يتنفس في الإناء ، ولا يتجشأ [1] فيه ، وإذا شربَ وأراد أن يسقي غيره فليقدم من على يمينه على من يساره ولو كان أفضل ، لأن النبيّ ﷺ سقى أعرابيا كان على يمينه قبل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقال : « الأيمنَ فَالأيْمنَ » .

* * *

آداب النوم

هي أن يتطهر من الحدث ، وأن ينام على جنبه الأيمن مستقبل القبلة ، وأن يقصد بنومه راحة بدنه ليقوى على العبادة ، وأن يذكر الله تعالى عند نومه وبعد يقظته .

---

(١) يتجشأ : التجشؤ تنفس المعدة .

وقد كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده . ثم يقول : « اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : الحَمْدُ لله الَّذي أَحيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتنا وإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

* * *

آداب المساجد

المساجد بيوت الله ، ومن عُلِّقَ قَلْبُهُ بها أظله الله في ظله يوم القيامة كما في الحديث ، فَيُطلب المشيُ إليها باشتياق مع السكينة والوقار ، ودخولها باليمنى مع تنظيف نعليه خارجها ، وقوله عند الدخول : اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمتكَ ، وأداء تحية المسجد ، والتَّسليمُ ، ولو خلا المسجدُ من الناس ، لأنه لا يخلو من الجن والملائكة ، والجلوسُ بنيَة التقرّب ومراقبةُ الله تعالى ، والإكثارُ من ذكره ، وحبسُ النفس عن الشهوات ، واجتناب الخصومة ، وألا ينتقل من مكانه إلا لحاجة ، وألا يُنْشدَ ضَالَّة ، وألا يرفع صوته بحضرة المصلين ، وألا يمرّ بين أيديهم ، وألا يشتغل بصنعة ، وألا يخوض في كلام أهل الدنيا ليسلم من الوعيد الوارد في قول النبي ﷺ : « يَأتِي فِي آخرِ الزَّمانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ المَسَاجدَ يَقْعُدونَ فِيهَا حَلَقًا حَلقًا ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ

الدُّنيَا لاَ تُجَالِسُوهُمْ فَلَيْس لله بهمْ حاجَةٌ » . فإذا أراد الخروج طلب منه البدء باليسرى ، وأن يضعها على ظهر نعله ، ثم يلبس اليمنى أوّلا ، وليقل عند خروجه : « اللَّهُم إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » .

قال النبي ﷺ قال الله تعالى : « إِنَّ بُيُوتِي في أَرَضْي المَسَاجِدُ ، وَإِنَّ زُوَّارِي فِيهَا عُمَّارُها فَطُوبى لعَبْدٍ تَطهر في بَيْتِهَ ثُمَّ زَارِنِي في بَيْتِي فَحَقٌّ عَلَى المَزور أَنْ يُكرِمَ زائرهُ » .

وعن أنس رضي الله عنه : « مَنْ أَسْرَجَ في مَسْجِدٍ سِرَاجًا لَمْ تَزِلِ المَلائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ في ذلِكَ المَسْجِدِ ضَوْءُهُ » .

* * *

النظافة

اعلم أن نظافة البدن ، والثوب ، والمكان ، مطلوبة شرعًا ، فينبغي للإنسان تنظيفُ بدنه ، متعهدًا شعر رأسه بالتسريح والدهن ، وأذنيه بالغسل والمسح ، وفاه [١] بالمضمضة والسواك ، وأنفه بالاستنشاق والاستنثار ، وأظافره بغسل ما تحتها .

---

(١) فاه : فمه .

وقد كان النبي ﷺ يدهن رأسه ويسرح شعره . وينبغي له أيضًا تنظيف ثوبه بالماء وحده ، أو مع الصابون إن احتاج إلى ذلك .

وكذلك ينبغي له تنظيف مكانه ، وذلك لما في النظافة من حفظ الصحة ، وذَهَابِ الهمومِ ، وإقبال السرور ، ورضا العشير [١] وإظهار نعمة الله تعالى :

قال عزّ وجلّ : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى آية : ١١] .

* * *

الصدق والكذب

الصدق : هو الإخبار بما يطابق الواقع ، **والكذب** : هو الإخبار بما لا يطابقه .

وأسباب **الصدق** : العقل ، والدين ، والمروءة لأن العقل يدرك منفعة الصدق ، ومضرة الكذب ، فلا يرضى صاحبه لنفسه المضرة فيلتزم الصدق ، ولأن الدين يأمر بالصدق ، وينهى عن ضده ، وكذلك صاحب المروءة لا يرضى لنفسه إلا الصدق لأنه يطلب التحلي بجميل الخصال ، ولا جمال في الكذب .

---

(١) العشير : العاشر والمخالط .

وسبب **الكذب** : إرادة جلب النفع ، أو إرادة دفع الضرر لأن الإنسان قد يرى في الكذب السلامة العاجلة فيأتيه ، ويرى في الصدق ضدها فلا يأتيه .

وضرر **الكذب** : يعود إلى صاحبه فيحتقر ، وتضيع الثقة به ، ويسترذل في الدنيا ، ويعاقب في الآخرة ، ويعد إلى غير صاحبه ، لأن الكذاب يعد غيره خيرًا ثم يخلفه ، فتنكسر نفسه لخيبة رجائه ، ولأنه يستسهل الغيبة ، والنميمة ، فيبعث الناس بسبب ذلك على التباغض والتخاصم . وكفى الكذب مذمة قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل آية : ١٠٥] .

وقوله ﷺ : « إذَا كَذَبَ الْعَبْدُ كَذِبَةً تباعَدَ عَنْهُ المَلَكُ مِيلاً مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ » .

وكفى الصدق ثناءً قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة آية : ١١٩] .

وقول النبيِّ ﷺ : « تَحروُا الصِّدقَ وَإِنْ رَأَيْتُم أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ [١] فَإِنَّ فِيهِ النَّجاةَ » .

* * *

---

(١) الهلكة : بالتحريك الهلاك .

الأمانة

هي القيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده ، فيها يكمل الدين ، وَتُصَانُ [١] الأعراض [٢] وتحفظ الأموال ، لأن القيام بحقوق الله عبارة : عن فعل المأمورات ، واجتناب المنهيات ، والقيام بحقوق عباده عبارة : عن ردّ الودائع ، وترك التطفيف في كيل ، أو وزن ، أو زرع ، وترك إفشاء الأسرار والعيوب ، وأن يختار لنفسه ما هو أصلح لها في الدين والدنيا .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء آية : ٥٨] .

وقال النبي ﷺ : « لاَ إِيمَانَ لِمنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لمنْ لاَ عَهْدَ لَهُ » .

وضد الأمانة : الخيانة ، وهي : مخالفة الحق بنقض العهد في السرّ .

ومضارّها كثيرة : منها ، أن يوصف صاحبها بالغدر ، ونقص الدين ، وانحطاطُ الهِمَّةِ ، ودَنَاءَةُ النَّفْسِ ، ومنها : إِعْرَاضُ النَّاسِ عنه لإِسَاءَتِهِ إليهم ، وقَطْعُ يدِهِ إذا سَرَقَ منهم ، وبُغْضُ اللهِ لَهُ وتَعْذِيبُه إِيَّاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُرَاعِ مَا كَلَّفَهُ بِهِ .

---

(١) تصان : تحفظ . (٢) الأعراض : جمع عرض بالكسر وهو الحسب .

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] .

* * *

العِفَّةُ

هِيَ صِفَةٌ لِلنَّفْسِ تَكُفُّهَا عَنِ المُحَرَّمَاتِ وَرَذَائِلِ الشَّهَوَاتِ .

وَهِيَ مِنْ أَشْرَفِ الخِصَالِ وَأَسْمَاهَا ، وعَلَيْهَا يَتَفَرَّعُ كَثِيرٌ مِنَ الفَضَائِلِ : كالصَّبْرِ ، وَالقَنَاعَةِ ، والسَّخَاءِ ، والمُسَالَمَةِ ، وَالوَرَعِ ، وَالوَقَارِ ، وَالرَّحْمَةِ ، وَالحَيَاءِ . فَهِيَ كَنْزُ مَنْ لَا مَالَ مَعَهُ ، وَتَاجُ مَنْ لا شَرَفَ لَهُ .

وسببها : انقطاع الطمع ، وترك الحرص على كسب المال ، والقناعة بما تدعو إليه الضرورة .

قال الله تعالى : ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٧٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « طُوبى (١) لمنْ هُدي للإسْلاَمِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا (٢) وَقَنِعَ بِهِ » .

---

(١) طوبى : قيل هو اسم شجرة في الجنة ، وقيل بل إشارة لكل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر .

(٢) الكفاف : الذي لا يفضل عن الحاجة ولا ينقص .

المُرُوءَةُ

هِيَ صِفَةٌ تَدْعُوا إِلَى التَّمَسُّكِ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ العَادَاتِ . وَسَبَبُهَا : عُلُوُّ الهِمَّةِ وَشَرَفُ النَّفْسِ ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ عَلِيَّ الهِمَّةِ شَرِيفَ النَّفْسِ كَانَتْ غَايَتُهُ إِحْرَازَ المَعَالِي ، وَإِدْرَاكَ الفَضَائِلِ وَابْتِنَاءَ المَكَارِمِ وَبَذْلَ النَّدَى ، وَكَفَّ الأَذَى (١) .

وَهِيَ عُنْوَانُ العِفَّةِ ، وَالنَّزَاهَةِ ، وَالصِّيَانَةِ ، وَلِذَلِكَ لَا يُرَى صَاحِبُ المُرُوءَةِ إِلَّا تَقِيًّا بَعِيدًا عَنِ المَطَامِعِ ، راضيًا بما قسمه الله له غير ناظر إلى ما في أيدي الناس .

ومما يدلّ على مدح المروءة قول النبي ﷺ : « إِنَّ الله يُحِبّ مَعَالِيَ الأُمُور وَأَشْرَفَهَا » .

* * *

الحِلْمُ

هو صفة تحملُ صاحبهَا على ترك الانتقام ممن أغضبه مع قدرته على ذلك .

وسببها : رحمة الجهال . أو الترفع عن المشاتمة ،

---

(١) وكف الأذى : أي منعه .

أو الاستحياءُ من جزاء الجواب ، أو التفضلُ على المسيء ، أو رعايةُ نعمة سابقة ، أو المَكْرُ وتوقع الفرص ، وذلك لأن الترفع عن المشاتمة من شرف النفس وعلو الهمة ، والاستحياء من صيانة النفس وكمال المروءة ورعاية النعمة السابقة من الوفاء ، والمكرُ وتوقع الفرص من الدهاء ، لأن من ظهر غضبه قل كيده .

قال النبي ﷺ في الثناء على أهل الحلم : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الحَيِيَّ الحَلِيمَ وَيُبغضُ الفَاحِشَ الْبَذيء » .

* * *

السخاء

هو بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق .

وهو فضيلة مستحسنة وخصلة محمودة ، لما فيه من ارتباط القلوب واجتماعها ، فيعظم الانتفاع ويعمّ الارتفاق ، فقد كان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

وفي الحديث قال جبريل : قال الله تعالى : « هذَا دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي لَا يُصْلِحُهُ إلاَّ السَّخَاءُ وَحُسْنُ الخُلُقِ فأَكْرِمُوهُ بهمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

* * *

التواضع

هو خفض الجناح وإلانةُ الجانب من غير خسة ولا مذلة .
والمقصود منهُ إعطاء كل ذي حقّ حقهُ ، فلا يرفع وضيعًا [1] عن درجته ، ولا ينزل شريفًا عن مقامه ، وهو من أسباب الرفعة ، ودواعي الشرف .
قال النبي ﷺ : « مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ » .

* * *

عزة النفس

هي صفة بها يجعل الإنسان نفسه في منازل الرفعة والاحترام .
وسببها : معرفة الإنسان قدر نفسه .
وثمرتها : التجمل ، والصبر على مكاره الدهر ، وترك إظهار الاحتياج ، وتعظيم الناس له وإحسان الله إليه . قال الله تعالى :
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون آية : ٨] .
وقال النبي ﷺ : « رَحِمَ الله امرأ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ » .

* * *

---

(١) وضيعًا : حقيرًا .

الحقد

هو إضمار السوء ، والحرص على الإيذاء .

وسببه : الغضب ، ويتبعه ثمانُ خصال محرّمة ، وهي : حسدُ المحقود عليه ، والشماتَةُ بمصيبته ، وَهَجْرُهُ وإن توَدَّدَهُ ، والإعرَاضُ عنه استصغارًا له ، والتكلم فيه بالفحش كاغتيابه ، وإفشاء سرّه ، ومحاكَاته استهزاءً به ، وإيذاؤه بما يؤلم بدنه ، ومنعه حقه ، كأن لا يقضيه دينه .

ومما يدل على ذمّ الحقد قول النبي ﷺ : «المُؤمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ» .

* * *

الحسد

هو تمني زوال النعمة عن الغير ، وأما تمني مثل ما للغير فيسمى غبطة ، وليست بمذمومة بل هي مطلوبة ، لأنها سبب لاكتساب الخصال الحميدة ؛ ولذا قال ﷺ : « المُؤمِنُ يَغْبطُ وَالمُنَافقُ يَحْسَدُ » .

وأسباب الحسد ثلاثة :

الأول : بغض المحسود (١) لفضيلة ظهرت منهُ أو نعمة ساقها الله إليه .

---

(١) بغض المحسود : أي كراهته .

الثاني : تفوّق المحسود في الفضل ، بحيث يعجز الحاسد عن الوصول إليه .

الثالث : شحّ الحاسد[١] بالفضائل فيحسد كلّ من ناله خير .

والذى يذهب الحسد من القلوب : التمسك بالدين ، وملاحظة ما في الحسد من الضرر ، والرضا بالقضاء والقدر .

ومما ورد في ذم الحسد قول النبي ﷺ : « الحَسَدُ يأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ » .

* * *

الغيبة

هي ذكر أخيك بما يكره ولو في وجهه ، كقولك : فلان أعرج ، أو فاسق ، أو فقير ، أو قصير الثياب تريد بذلك تنقيصه .

وأسبابها ثمانية : الحسد ، وشفاء الغيظ ، وإرادةُ الترفع ، والمبادرة إلى تعطيل المؤذي عن الوصول إلى مراده ، والقصد إلى تبرئة النفس ، ومجاملة الرفقاء ، والهزلُ والاستهزاء .

وليس من الغيبة لوم المقصر على تقصيره ، وإرشاده إلى ما فيه

---

(١) شحّ الحاسد : أي بخله .

مصلحته ، لأن الله عزَّ وجلَّ لم ينه عن النصيحة ، ولكنه نهى عن الغيبة وبالغ في الإنكار عليها ، فقال : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٢] .

* * *

النميمة

هي نقل أقوال الناس ، أو أعمالهم ، أو أحوالهم إلى الغير على وجه الإفساد ، والباعث عليها إما إرادة السوء بالمنقول عنه أو إظهار الحب للمنقول إليه ، أو التفريج في الحديث ، أو الخوض في الفضول .

والذي يكفّ(١) الإنسانَ عن النميمة علمه بأنها تدعو إلى التقاطع وإيقاد نار العداوة واستحقاق العقاب .

قال النبي ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ الَّذِينَ يَأْلَفُونَ (٢) ويُؤْلَفُونَ (٣) وإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَي المَشَّاءُونَ بالنَّمِيمَةِ المُفرِّقُون بَيْنَ الإِخْوَانِ » .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنّة نمام » .

---

(١) يكف : يمنع . (٢) يألفون : يحبون غيرهم .

(٣) ويؤلفون : أي يحبهم غيرهم .

الكبر

هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير .

ومفاسده كثيرة ، منها : أنه يؤذي الغير ، ويقطع حبال المودة ، ويفرّق القلوب ، ويحمل الناس على بغض صاحبه ، واتفاقهم على أذاه ، ومنها أن صاحبه لا ينقاد إلى الحق ، ولا يكظم الغيظ ولا يتلطف في النصح .

وكفى الكبر مذمة قول النبي ﷺ : « لاَ يَدْخلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مثْقالُ ذَرّةٍ مِنَ الْكِبْر » .

ومن عرف أنه مخلوق من نطفة وأنه صائر إلى جيفة هان عليه أن يترك الكبر الذي سببه العجب .

* * *

الغرور

هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع بسبب شبهة شيطانية ، وهو نوعان :

الأول : غرور أهل الكفر الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فمنهم من سكن إلى الدنيا وزخرفها وأنكر البعث (١) ومنهم من

(١) البعث : هو إحياء الله تعالى الخلق بعد موتهم .

اغتر بسيادته في الدنيا فظن أنه على فرض المعاد والرحمة يكون أولى بهما .

الثاني : غرور العصاة من المؤمنين ، فمنهم من لم يعمل اغترارًا بسعة عفو الله تعالى ، أو اعتمادًا على طاعة الآباء ، أو على كثرة العلم ، ولم يدر الأول أن الرغبة في الشيء من غير أخذ في أسبابه طمع مذموم ، ولم يذكر الثاني قوله تعالى : ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة لقمان آية : ٣٣] ، ولم يتنبه الثالث إلى أن العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر ، ومنهم من اغترّ بكثرة عبادته فظن أنه أَحَقُّ بالعفوِ مِنْ غَيرِهِ، ولم يَدْرِ أَنَّ هَذَا مُذْهِبٌ لِإخْلَاصِهِ ، مُفَوِّتٌ لِثَوَابِ أَعْمَالِهِ ، ومنهم من غَرَّهُ كَثْرَةُ المَالِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ بِذَلِكَ يَفُوقُ غَيْرَهُ ، فَمَالَ إلى زُخْرُفِ الدُّنْيا ونَسِيَ فضل اللهِ عَليهِ ، ومِنْ مَعَايِبِ الغُرُورِ أَنَّهُ يُوَلِّدُ الكِبْرَ الذي سَبَقَ أَنَّهُ يَمنعُ صَاحِبَهُ دُخُولَ الجَنَّةِ .

* * *

الظُّلْمُ

هو الخروج عن حدّ الاعتدال بالتقصير ، أو تجاوز الحد ، فيشمل جميع المعاصي ، ويعمّ أنواع الرذائل ، وصاحبه إما ظالم

لنفسه ، أو ظالم لغيره . فظلم النفس : عبارة عن التقصير في طاعة الله تعالى ، أو ترك الإيمان ، وظلم الغير : عبارة عن التفريط في حقه ، كإيذاء الجار ، وإهانة الضيف ، وافتراء الكذب والغيبة ، والنميمة .

قال النبي ﷺ : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ » .

وفي الحديث القدسي : « يَا عِبَادي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا » .

* * *

العدل

هو التوسط في الأمور والسير فيها على وفق الشريعة .

وهو نوعان :

الأول : عدل الإنسان في نفسه وهو أنْ يسلك سبيل الاستقامة .

الثاني : عدله مع غيره ، وهو ثلاثة أقسام :

(١) عدل السلطان في رعيته باتباع الميسور وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه .

(٢) عدل الرعية مع السلطان والتلميذ مع أستاذه والولد مع والديه بإخلاص الطاعة .

(٣) عدل الإنسان مع أمثاله بترك التكبر عليهم ، وكفّ الأذى عنهم .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [سورة النحل آية : ٩٠] .

أما العدل فقد عرفته .

وأما الإحسان فهو كما في الحديث : «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ» . وهذا كمال الإيمان ، ونهاية الإذعان .

* * *

قال مؤلفه حفظه الله

قد تم تبييض هذا الكتاب عصر يوم الجمعة المبارك السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وألف . من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

* * *

فهرس الموضوعات